ابو عبد الرحمن السلمي
أعـلام التفسيـر

أبو عبد الرحمن السلمي
صاحب كتاب: " حقائق التفسير أو تفسير القرآن "

هو أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن موسى، الأزدى السلمى، المولود سنة 330 هـ (ثلاثين وثلاثمائة من الهجرة)، وقيل غير ذلك.

كان رحمه الله شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، له اليد الطولى في التصوف، والعلم الغزير، والسير على سنن السَلَف، أخذ الطريق عن أبيه، فكان موفقاً في جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف. وكان على جانب عظيم من العلم بالحديث، حتى قيل: إنه حدَّث أكثر من أربعين سنة إملاءً وقراءة. وكتب الحديث بنيسابور، ومرو، والعراق، والحجاز، وصنّف سنناً لأهل خراسان، وأخذ عنه بعض الحفَّاظ: منهم الحاكم أبو عبد الله، وأبو القاسم القشيرى، وغيرهما، ولقد خلَّف - رحمه الله - من الكتب ما يزيد على المائة: منها ما هو في علوم القوم، ومنها ما هو في التاريخ، ومنها ما هو في الحديث، ومنها ما هو في التفسير.

ولكن السلمى مع وفرة جلالته، وعظيم منزلته بين مريديه، لم يسلم كغيره من الصوفية من الطعن عليه، قال الخطيب: قال محمد بن يوسف النيسابورى القطان: كان السلمى غير ثقة، يضع للصوفية، وكأن الخطيب لم يرض هذا الطعن فيه، فقال حكاية هذا القول: " قدر أبى عبد الرحمن عند أهل الطعن فيه، فقال حكاية هذا القول: " قدر أبى عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك محموداً صاحب حديث ".. قال ابن السبكى صاحب طبقات الشافعية: " قول الخطيب فيه هو الصحيح، وأبو عبد الرحمن ثقة، ولا عبرة بهذا الكلام فيه " هذا .. وقد كانت وفاته سنة 412 هـ (اثنتى عشرة وأربعمائة من الهجرة)، فرحمه الله رحمة واسعة.

شيوخ السلمي:

هناك شيوخ لهم أثر واضح في أبي عبد الرحمن، أما أحدهم فالمحدث الحجة العالم، أبو الحسن الدارقطني، وأما الآخرون فأثرهم صوفي، مثل أبي نصر السراج صاحب " اللمع " وأبي القاسم النصر أباذي، وأبي عمرو بن نجيد.

وإذا أردنا أن نعد كل من لقيهم أبو عبد الرحمن، ونتعرف أثرهم فيه، فإن ذلك سيخرجنا عما قصدنا إليه من هذه العجالة، ولكنا نقتصر على بعضهم فمنهم:

1 - إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الأبزاري - من أبزار، قرية بينها وبين نيسابور فرسخان - الوراق. وهو من محدثي نيسابور المشهورين. سمع بنيسابور وبنسا؛ ورحل إلى العراق، فسمع بها. وكتب بالجزيرة والشام. وسمع بخراسان وبغداد عن أئمة الحديث فيها، وسمع منه أبو عبد الرحمن.

2 - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، أبو القاسم النصراباذي. وهو من شيوخ أبي عبد الرحمن. وزامل أبا عبد الرحمن، في الاستماع إليه، والانتفاع به، محدث نيسابور، ومؤرخها وعالمها، الحاكم أبو عبد الله صاحب " تاريخ نيسابور ".

3 - أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد بن عبد الرحمن بن نوح، أبو بكر الصبغي، من شيوخ نيسابور. رحل إلى العراق والحجاز وغيرهما. ولد في رجب سنة ثمان وخمسين ومائتين، وتوفى في شعبان، سنة أثنتين وأربعين وثلثمائة ولعله من أقدم من أخذ عنهم أبو عبد الرحمن.

4 - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، أبو نعيم الأصبهاني، حافظ أصبهان، وصاحب كتاب " حلية الأولياء " وكتاب " تاريخ أخبار أصبهان ". فقد روى أبو عبد الرحمن، مع تقدمه، عن عبد الواحد بن أحمد الهاشمي، عن أبي نعيم.

5 - أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان، المقرئ النيسابوري، المعروف بابن حسنويه. وكان كذلك شيخ أبي عبد الله الحاكم.

6 - أحمد بن محمد بن رميح بن عصمة بن وكيع بن رجاء، أبو سعيد النخعي من أهل نسا. وكتاب " طبقات صوفية " مملوءة بالرواية عنه.

أحمد بن محمد بن عبدوس العنزي، أبو حسن الطرائفي - نسبة إلى بيع الطرائف، وهي الأشياء المتخذة من الخشب - توفى بنيسابور، في رمضان سنة ست وأربعين وثلثمائة.

8 - إسماعيل بن نجيد، أبو عمرو السلمي، جده لأمه. وقد أكثر السماع عنه.

9 - جعفر بن محمد، أبو القاسم الذري. قال أبو عبد الرحمن، في كتابه " تاريخ الصوفية "، في ترجمة أحمد بن محمد، أبي بكر بن أبي سعدان: " لم يكن في زمانه أعلم بعلوم هذه الطائفة منه. وكا ن أستاذ شيخنا أبي القاسم الرازي " [1].

10 - جعفر بن محمد الحارث، أبو محمد المراغي - نسبة إلى المراغة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان - أحد الرحالين في طلب الحديث وجمعه، سكن نيسابور وسمع بدمشق وغيرها.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 4.

11 - حسان بن محمد القرشي الأموي النيسابوري الفقيه، شيخ الشافعية بخراسان. صنف التصانيف، وكان بصيراً بالحديث وعلله، ثقة. أثنى عليه غير واحد وروي عنه كذلك الحاكم أبو عبد الله، وقال عنه: " هو إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد من رأيت من العلماء، وأعبدهم " توفي في الربيع الأول، سنة تسع وأربعين وثلثمائة.

12 - الحسن بن علي بن زيد بن داود بن يزيد، النيسابوري الصائغ، الإمام الحافظ أبو علي. رحل في طلب العلم والحديث، وطاف وجمع فيه وصنف. ممن روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي. ولد سنة سبع وسبعين ومائتين. وعقد له مجلس الإملاء بنيسابور، سنة سبع وثلاثين وثلثمائة، وهو ابن ستين سنة. وتوفي عشية يوم الأربعاء، الخامس عشر من جمادى الأولى، سنة تسع وأربعين وثلثمائة.

13 - الحسين بن محمد، أبو علي النيسابوري.

14 - الحسين بن محمد بن موسى الأزدي، والد الشيخ أبي عبد الرحمن.

15 - سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد، أبو عمرو البرذعي.

16 - عبد الله بن فارس، أبو ظهير العمري البلخي.

17 - علي بن عمر بن أحمد بن مسرور، أبو الحسن الدارقطني الحافظ.

18 - محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، صاحب ابن وارة.

19 - محمد بن داود بن سليمان، أبو بكر الزاهد النيسابوري. شيخ عالم ورع زاهد. سافر كثيراً، وجال البلاد في طلب العلم، وأكثر من الحديث. فسمع بنيسابور، والري، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام، والموصل. وروى عن جعفر الفريابي وأبي عبد الرحمن

النسائي، وأبي بعلي الموصلي. وروى عنه كذلك الحاكم أبو عبد الله وصنف " أخبار الصوفية والزهاد ". وأملي الحديث بنيسابور. وتوفي عاشر ربيع الأول، من سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة

20 - محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو عبد الله الصفار، الزاهد الأصبهاني. كان زاهداً ورعاً. ألف كتاباً في الزهد.

21 - محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي المذكر، كان أبو عبد الرحمن كثير الحكايات عنه، ملياً بالسماع منه.

22 - محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر القفال الشاشي - من الشاش، بما وراء النهر - تتلمذ له أبو عبد الرحمن، وروى عنه، وكان القفال أوحد أهل الدنيا في الفقه والتفسير واللغة. رحل إلى الدنيا، وطلب العلم، ولقي كبار شيوخ عصره. وكان شيخ الشافعية في وقته. ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين. ومات سنة ست وستين وثلثمائة.

23 - محمد بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الكارزي - نسبة إلى كارز - من قرى نيسابور - النيسابوري. روى عنه أبو عبد الرحمن، كما روى عنه الحاكم أبو عبد الله.

24 - محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى بن ماسرجس، الماسرجسي النيسابوري.

25 - محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم، أبو عبد الله الشيباني الحافظ محدث نيسابور وعالمها. صنف " المسند الكبير والصحيحين ". روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي، وكذلك الحاكم أبو عبد الله. ومع براعته في الحديث والعلل والرجال، لم يرحل عن نيسابور، وعاش أربعاً وتسعين سنة، ومات سنة أربع وأربعين وثلثمائة.

26 - محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله، أبو

العباس الأصم. سمع منه أبو عبد الرحمن، وهو من شيوخ نيسابور ومحدثيها.

27 - يحيى بن منصور القاضي، أبو محمد النيسابوري. ولي قضاء نيسابور بضع عشر سنة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وثلثمائة. وقد لقيه أبو عبد الرحمن وسمع منه.

28 - أبو إسحاق الحيري، وقد سمع منه كذلك أبو عبد الرحمن.

تلاميذ أبي عبد الرحمن: رأينا أبا عبد الرحمن قد لقي شيوخ عصره، وسمع منهم الحديث، وتأدب بهم في الطريق. وقلما كان ينزل بلداً به عالم حديث أو التصوف، دون أن يلقاه ويأخذ عنه. يقول السلمي: " كنت من النصراباذي "، أي بلد أتيناه، يقول: قم بنا نسمع الحديث ".

وقد رزق أبو عبد الرحمن من القبول عند الناس ما لم يرزق غيره من الشيوخ حتى أقبل عليه التلاميذ والمريدون، يتأدبون به ويأخذون عنه علوم القوم، وهو يومئذ رواية أخبارهم ونقالهم [1].

ومن أهم تلاميذه:

1 - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله، أبو بكر البيهقي - نسبة إلى بيهق، قرى مجتمعة بنواحي نيسابور - الحافظ الفقيه الشافعي، سمع من أبي أبو عبد الرحمن، وأخذ عنه. ولد في شعبان، سنة أربع وثمانين وثلثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

2 - أحمد بن عبد الواحد الوكيل، وهو الذي ينقل عن الصاحب " تاريخ بغداد " ما يرويه عن أبي عبد الرحمن.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 5.

3 - أحمد بن علي بن الحسين التوزي القاضي، كان ثقة. وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي، وروى عن الخطيب البغدادي في تاريخه.

4 - أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن خلف، أبو بكر الشيرازي، ثم النيسابوري. مسند خراسان. روى عن أبي عبد الرحمن كتبه. وروى كذلك عن الحاكم أبي عبد الله وطائفة. قال فيه عبد الغافر: " هو شيخنا الأديب، المحدث المتقن الصحيح السماع. ما رأينا شيخاً أورع منه، ولا أشد إتقاناً. توفي في الربيع الأول، سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وقد نيف على التسعين ". وهو الذي وردت مخطوطة: م، بروايته.

5 - عبد الله بن يوسف، أبو محمد الجويني، إمام عصره بنيسابور، ووالد أبي المعالي الجويني. تفقه على أبي الطيب، سهل بن محمد الصعلوكي. وقدم مرو، قصداً لأبي بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي، فتفقه به، وسمع منه وقرأ الأدب، وبرع في الفقه، وصنف فيه التصانيف المفيدة. وكان ورعاً، دائم العبادة، شديد الاحتياط، مبالغاً فيه. سمع أستاذيه: أبا عبد الرحمن السلمي، أبا محمد ابن بابويه الأصبهاني. ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

6 - عبد الكريم بن هوزان، أبو القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية؛ وهي تمتلئ بالرواية عن السلمي. توفي القشيري سنة خمس وستين وأربعمائة.

7 - عبيد الله بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر الأزهري. من أشهر شيوخ الخطيب ما يرويه من أخبار، عن أبي عبد الرحمن.

8 - على بن أحمد بن محمد بن الأحزم، أبو الحسن المديني، النيسابوري الزاهد المؤذن. أملي مجالس عن أبي عبد الرحمن السلمي. توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

9 - علي بن سليمان بن داود الخطيبي، أبو الحسن الأوزكندي، نسبة إلى أوزكند، بلد بما وراء النهر، من نواحي فرغانة - قدم همدان، سنة خمس وأربعمائة وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي وغيره.

10 - عمر بن أحمد بن محمد بن موسى بن منصور، الجو زي النيسابوري، الحافظ أبو منصور. وهو ثقة فاضل، من أصحاب أبي حنيفة. جاور بالقرب من الجامع العتيق بنيسابور، ولازم طريق السلف. وكان من خواص أصحاب أبي عبد الرحمن، وصاحب كتبه. وكتب عنه الكثير. توفي في جمادى الآخرة، سنة تسع وستين وأربعمائة.

11 - عمر بن إسماعيل بن عمر، أبو حفص الجصيني - نسبة إلى جصين، محلة بمرو، أندرست، وصارت مقبرة، ودفن بها بعض الصحابة - وقيل أنه مروزي. روى عن أبي عبد الرحمن السلمي. وكان فقيهاً على المذهب الشافعي.

12 - فضل الله، أبو سعيد بن أبي الخير، الشاعر الفارسي، ولد سنة سبع وخمسين وثلثمائة، في " مَيْهَنَة "، أهم مدينة في إقليم " خابران " بخراسان، ودرس الفقه، واعتنق مذاهب الصوفية. مات سن أربعين وأربعمائة. وقد رحل أبو سعيد ابن أبي الخير إلى أبي عبد الرحمن السلمي، فتلقى الخرقة من يده.

13 - القاسم بن الفضل بن أحمد، أبو عبد الله الثقفي الجُوبَارِيُّ، نسبة إلى جوبارة، محلة بأصبهان - رئيس أصبهان. روى عن أبي عبد الرحمن السلمي. وتوفي عن اثنتين وتسعين سنة، عام تسع وثمانين وأربعمائة.

14 - محمد بن إسماعيل بن محمد، أبو بكر التفليسي - نسبة إلى تفليس، بلد بأذربيجان - النيسابوري المولد؛ الصوفي، المقرئ. روى

عن أبي عبد الرحمن السلمي. ومات في شوال، سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة.

15 - محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم بن الحاكم، أبو عبد الله الحاكم، الضبي الطهماني، النيسابوري الحافظ، المعروف بابن البَيّع. وصيف أبي عبد الرحمن، وزميله في التلقي عن الشيوخ. روى عنه في كتابه " تاريخ نيسابور ". توفي سنة خمس وأربعمائة.

16 - محمد بن عبد الواحد، أبو الحسن. روى عنه الخطيب البغدادي، أبي عبد الرحمن.

17 - محمد بن علي بن الفتح، الحربي. روى عن أبي عبد الرحمن السلمي، وروى عنه الخطيب البغدادي في كتابه " تاريخ بغداد "[1].

18 - محمد بن يحيى بن إبراهيم، أبو بكر المزكي، النيسابوري. روى عن أبي عبد الرحمن.

19 - مهدي بن محمد بن عباس بن عبد الله بن أحمد بن يحيى، المامطيري - نسبة إلى مامطير، بليدة من نواحي طبرستان، أبو الحسن الطبري، يعرف بابن سرهنك. قدم همدان، في شوال، سنة أربعين وأربعمائة. وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي.

20 - أبو بكر بن زكريا، ممن رووا عن أبي عبد الرحمن.

21 - أبو سعد بن رامش، وهو كذلك ممن لقوا أبا عبد الرحمن ورووا عنه.

22 - أبو صالح المؤذن، أحد الذين صحبوا أبا عبد الرحمن وأخذوا عنه.

23 - أبو علاء الواسطي، القاضي. لقي أبا عبد الرحمن وروى عنه، ونقل الخطيب البغدادي بإسناد الواسطي عن أبي عبد الرحمن.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 6.

تصانيف السلمي:

كان جد أبي عبد الرحمن لأمه، أبو عمرو إسماعيل بن نجيد، سليل بيت سرى ورث السلف خلفهم وعملهم، وكتبهم، كما ورثوهم جاهاً ومالاً في نيسابور، فلما توفى أبو عمرو، جد أبي عبد الرحمن، سنة ست وستين وثلثمائة " خلف ثلاثة أسهم في قرية، قيمتها ثلاث آلاف دينار - وكانوا يتوارثون ذلك عن جده، جد أبي عمرو، أحمد بن يوسف السلمي، وكذلك خلف ضياعاً ومتاعاً. ولم يكن له وارث غير والدة أبي عبد الرحمن ".

لم يشغل أبو عبد الرحمن بمطالب العيش وإنما شغل بالعلم يجمع كتبه - وقد ورث قدراً كبيراً منها عن آبائه - ويتلقاه عن شيوخه في مختلف بقاع المشرق، ويعلم الناس ويفيدهم.

وقد كان أبي عبد الرحمن " بيت كتب... جمع فيه الكتب ما لم يسبق إلى ترتيبه " من طرائف كتب الصوفية والمحدثين، وكان ينقطع فيه للقراءة والتأليف، وكان شيوخ نيسابور يستعيرون منه بعض ما يحويه هذا البيت من نفائس.

وقد ابتدأ أبو عبد الرحمن التصنيف سنة نيف وخمسين وثلثمائة، وهذا معناه أن أبا عبد الرحمن ظل يؤلف قريباً من بضعة وخمسين عاماً.

ألف أبو عبد الرحمن في الحديث، وفي تفسير القرآن الكريم، وفي التصوف وانصرف يحدث الناس بحديث رسول الله ﷺ، أكثر من أربعين سنة، إملاء وقراءة، وانتخب عليه الحفاظ الكبار. وقد صنف في أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، والمشايخ وغير ذلك ثلثمائة جزء.

وعلى أي حال فإن هذه الثورة الضخمة، من التأليف في الحديث، لم يصل منها إلا الجزء اليسير جداً، إذا قيس بالمفقود.

وأما تفسير القرآن الكريم فلم يصلنا منه إلا هذا التفسير الصوفي الفريد: " حقائق التفسير " ذلك التفسير الذي جر على أبي عبد الرحمن خصومة ولدداً شديدين. تولى كبرهما - في أكثر الأمر - الشيخ الحنبلي الجليل ابن الجوزي.

ولكن الذي اشتهر به أبو عبد الرحمن، هو تأليفه في التصوف، لا تأليفه في التفسير، ولا تأليفه في الحديث، برغم طول الفترة التي تصدر فيها للتحديث. وحتى هذا التأليف الوحيد في التفسير، الذي بين أيدينا من آثار أبي عبد الرحمن، لم يؤلفه على الطريقة الجارية في التفسير، ولكنه سلك به طريق التصوف فجعله " تفسيراً على لسان أهل
الحقائق ".

بهذه التآليف في التصوف اشتهر أبو عبد الرحمن بأنه : " نقال الصوفية، وراوي كلامهم "، " وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل ".

" وقد صنف في علوم القوم سبعمائة جزء ". وأظن أن المراد من هذه الأجزاء العديدة، التي ألفها أبو عبد الرحمن، ليس هو ما يقوم في ذهننا عن الجزء، من هذه الأعداد الكبيرة، من الكراسات الصغيرة؛ بل لعل المقصود بالجزء يومئذ هو هذه الكراسة، التي يتألف من عدد منها جزء واحد اليوم. ويتضح ذلك إذا رجعنا إلى تقسيم كتاب مثل كت اب
" مصارع العشاق " فإننا نجده - وهو مجلد واحد في إحدى طبعاته - مقسم إلى أجزاء كبيرة.

توفي جده، أبو عمر بن نجيد، ولم يكن له وارث غير والدة أبي عبد الرحمن فانتقلت ثروته الواسعة إليها، وانصرف أبو عبد الرحمن إلى الكتابة والإنتاج، " وكانت تصانيفه مقبولة وحببت إلى الناس، وبيعت بأغلى الأثمان... وكان أبو عبد الرحمن في الأحياء... ورويت عنه تصانيفه وهو حي ".

وفي أخريات أيامه ابتنى للصوفية خانقاه صغيرة، كانت مشهورة في نيسابور وفي ما جاورها أو بعد عنها من إقليم مملكة الإسلام، حتى أن الخطيب البغدادي حين ذهب إلى نيسابور زار هذه الدويرة التي كان يسكنها الصوفية يومئذ "[1].

وفي هذه الخانقاه دفن أبو عبد الرحمن، بعد أن سبق فيه قضاء الله، في يوم الأحد ثالث شعبان، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وكانت جنازته مشهودة.

وسأذكر هنا ما أعرف من كتب أبي عبد الرحمن السلمي، ومكان ما أعرف مكانه منها، و أرجوا أن يعين الله على أن تكون بين يدي الدارسين عن قريب:

1 - الإخوة والأخوات في الصوفية.

2 - آداب التعازي.

3 - آداب الصحبة وحسن العشرة.

4 - آداب الصوفية.

5 - الأربعين في الحديث: وهي أربعين حديثاً في الزهديات، اختارها أبو عبد الرحمن. وقد نشر هذا الكتيب الصغير، ضمن ما نشر من المكتبة العربية القيمة، ذلك العمل الجليل الذي قامت به في حيدر أباد، دائرة المعارف العثمانية النظامية.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 8.

6 - الاستشهادات.

7 - أمثال القرآن.

8 - تاريخ أهل الصفة.

9 - تاريخ الصوفية.وهو غير كتاب " طبقات الصوفية ".

10 - جزء الحديث ولا أدري أهو جزء حديث مستقل أو هو كتاب الأربعين نفسه، كرره صاحب كشف الظنون باسم آخر.

11 - جوامع آداب الصوفية.

12 - حقائق التفسير

13 - درجات المعاملات.

15 - رسالة الملامتية [1].

16 - زلل الفقر.

17 - الزهد ترجم فيه للصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

18 - السؤالات مما جمعه السلمي، من ألفاظ أبي الحسن، علي بن عمي بن المهدي، الدارقطني.

19 - سلوك العارفين

20 - السماع.

21 - سنن الصوفية.

22 - طبقات الصوفية.

23 - عيوب النفس ومداواتها.

24 - الفتوة.

25 - الفرق بين الشريعة والحقيقة.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 9.

26 - محن الصوفية.

27 - مقامات الأولياء.

28 - مقدمة في التصوف.

29 - مناهج العارفين [1].

حول حقائق التفسير:

يقع هذا التفسير في مجلد واحد كبير الحجم، ومنه نسختان مخطوطتان بالمكتبة الأزهرية.

يستوعب هذا التفسير جميع سور القرآن، ولكنه لا يتعرض فيه لظاهر القرآن، وإنما جرى في جميع ما كتبه على نمط واحد، وهو التفسير الإشارى، وهو إذ يقتصر على ذلك لا يعنى أن التفسير الظاهر غير مراد، لأنه يُصرّح في مقدمة تفسيره: أنه أحب أن يجمع تفسير أهل الحقيقة في كتاب مستقل كما فعل أهل الظاهر.

ثم إن أبا عبد الرحمن السلمى. لم يكن له مجهود في هذا التفسير أكثر من أنه جمع مقالات أهل الحقيقة بعضها إلى بعض، ورتبها على حسب السور والآيات، وأخرجها للناس في كتاب سماه " حقائق التفسير ".

وأهم مَن ينقل عنه السلمى في حقائقه: جعفر بن محمد الصادق، وابن عطاء الله السكندرى، والجنيد، والفضيل بن عياض، وسهل بن عبد الله التسترى، وغيرهم كثير.

وإليك بعض ما قاله في مقدمته لتعلم أن السلمى حين اقتصر على المعاني الإشارية لم يجحد المعاني الظاهرة للقرآن، ولتعلم أيضاً أن مجهوده في هذا التفسير إنما هو الجمع والترتيب.

(1) مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، ص 11.

قال رحمه الله: ".. لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فرائد القرآن: من قراءات، وتفاسير، ومشكلات، وأحكام، وإعراب، ولغة، ومجمل، ومفسر، وناسخ، ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة، نُسبت إلى أبى العباس ابن عطاء، وآيات ذُكِر أنها عن جعفر بن محمد، على غير ترتيب، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استحسنتها، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالتهم، وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى، واستخرتُ الله في جمع شىء من ذلك، واستعنتُ به في ذلك وفي جميع أُمورى، وهو حسبى ونعم المعين ".

طعن بعض العلماء على هذا التفسير:

غير أن الاقتصار على المعاني الإشارية، والإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا المؤلَّف، ترك للعلماء مجالاً للطعن على هذا التفسير وعلى صاحبه من أجله، فالجلا السيوطى رحمه الله يذكر أبا عبد الرحمن السلمى في كتابه " طبقات المفسرين " ضمن من صَنَّف في التفسير من المبتدعة ويقول: " وإنما أوزدته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود ". والحافظ الذهبى رحمه الله يقول عن السلمى: ".. وله كتاب يقال له حقائق التفسير، وليته لم يُصَنِّفه. فإنه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب "، ويقول السبكى في " طبقات الشافعية " : " وكتاب حقائق التفسير، كثر الكلام فيه من قِبَل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات، ومحال للصوفية ينبو عنها اللَّفظ ".

وكان الإمام أبا الحسن الواحدى قال: " صَنَّف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ".

وهذا هو الإمام ابن تيمية يطعن على تفسير السلمى من ناحية أخرى فيقول: " وما يُنقل في حقائق السلمى عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كذب عليه في غير ذلك ".

حقيقة هذه الطعون:

يقول الأستاذ محمد حسين الذهبي. . وإنَّ عَدَّ السيوطى السلمى في ضمن المفسِّرين من أهل البدع غلو منه وإجحاف.

وما قاله الذهبى من أن ما في الحقائق تحريف وقرمطة - يريد أنه كتفسير القرامطة من الباطنية - فهذا غير صحيح، لأن الرجل يقر الظواهر على ظواهرها، والقرامطة بخلاف ذلك.

وأما ما قاله السبكى من أن السلمى قد اقتصر في حقائقه على تأويلات للصوفية ينبو عنها اللَّفظ فهذه كلمة حق لا غبار عليها.

وأما قول الواحدى: إنه لو اعتقد أن ما في الحقائق تفسير لكفر باعتقاده هذا، فنقول فيه: إن أبا عبد الرحمن لم يعتقد أن هذا تفسير، وإنما قال: إنه إشارات تخفى وتدق إلا على أربابها، كما صرَّح بذلك في مقدمة حقائق التفسير.

وأما قول ابن تيمية: إن ما يُنقل في حقائق السلمى من التفسير عن جعفر عامته كذب على جعفر، فهذه كلمة حق من ابن تيمية، إذ أن غالب ما جاء فيه عن جعفر الصادق كله من وضع الشيعة عليه، ولست أدرى كيف اغتر السلمى وهو العالم المحدِّث بمثل هذه الروايات المختلفة الموضوعة...

نماذج من تفسير السلمى:

وإذ قد فرغنا من الحديث على حقائق التفسير، فاسمع بعض ما جاء فيه، لتحم أنت بدورك عليه:

في سورة النساء عند قول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} [النساء: ٦٦].. يقول: " قال محمد بن الفضل: {اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} بمخالفة هواها، {أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم} أى أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم {مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} في العدد، كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة".

وفي سورة الرعد عند قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} [الرعد: ٣].. يقول: " قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيده فإليهم الملجأ، وبهم النجاة، فمَن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومَن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر. سمعت علىّ بن سعيد يقول: سمعت أبا محمد الحريرى يقول: كان في جوار الجنيد إنسان مصاب في خربة؛ فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازة، فلما رجعنا تقدم خطوات وعلا موضعاً من الأرض عالياً، فاستقبلنى بوجهه وقال: يا أبا محمد؛ إنى لراجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد، ثم أنشد شعراً:

وما أسفى من فراق قوم :: هم المصابيح، والحصون
والمدن، والمزن، والرواسى : والخير، والأمن، والسكون
لم تتغير لنا الليالى :: حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب : وكل ماء لنا عيون

وفي سورة الحج عند قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً} [الحج: ٦٣].. يقول: قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحائب القُربة، وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبتت فاخضرت بزينة المعرفة، وأثمرت الإيمان، وأينعت التوحيد. أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيدها، واشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها، وأناخت بين يديه، وعكفت فأقبلت عليه، وانقطعت عن الأكوان أجمع، ذاك آواها الحق إليه، وفتح لها خزائن أنواره، وأطلق لها الخيرة في بساتين الأُنس، ورياض الشوق والقدس ".

وفي سورة الرحمن عند قوله تعالى: {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن: ١١].. يقول: " قال جعفر: جعل الحق تعالى في قلوب أوليائه رياض أُنسه، فغرس فيها أشجار المعرفة، أُصولها ثابتة في أسرارهم، وفروعها قائمة بالحضرة في المشهد، فهم يجنون ثمار الأُنس في كل أوان، وهو قوله تعالى: {فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن: ١١]، أى ذات الألوان، كل يجتنى منه لوناً علَى قدر سعته، وما كوشفت له من بوادى المعرفة وآثار الولاية ".

وفي سورة الانفطار عند قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾} [الانفطار: ١٣ - ١٤].. يقول: " قال جعفر: النعيم المعرفة والمشاهدة، والجحيم النفوس، فإن لها نيران تتقد ".

وفي سورة النصر عند قوله تعالى في أولها: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾} [النصر: ١].. يقول: " قال ابن عطاء الله: إذا شغلك به عما دونه فقد جاءكَ الفتح من الله تعالى، والفتح هو النجاة من السجن البشرى بلقاء الله تعالى "[1].

* * *

(1) الدكتور محمد حسين الذهبى، التفسير والمفسرون، 4 / 331.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القارئ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: " : اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال : " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا : ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " [1].

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص378.

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنقصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ :: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُهم لا يُجْحَدُ :

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *